موقف الفكر النازي القومي المتطرف من الدين

أ.د.عماد مكلف عسل البدران
كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة البصرة

الملخص:

يهدف هذا البحث الى فهم موقف هتلر وحزبه النازي من الدين ومؤسساته، وهي محاولة لادراك الابعاد الخطيرة للافكار التي انتجتها المدارس القومية في القرن العشرين، وكيف انعكست مبادئها المتطرفة ومناهجها على الجوانب الروحية وأخذت تحاول إزاحتها والهيمنة على حياة الناس والترويج الى أفكار تحارب المعتقدات، وتحاول الحلول محل الثوابت والمبادئ الدينية التي اتخذتها ستاراً لمآربها ومبتغياتها بهدف الوصول الى السلطة والهيمنة، وهي بذلك تحاول صناعة دين بدل دين يدين به من يلتحق بالحزب النازي وكل ذلك بسبب التطرف القومي.

- رؤية هتلر النازية للدين:

ارتبط اسم النازية بمؤسسها الزعيم الالماني ادولف هتلر(١) الذي تولى حكم المانيا للحقبة ١٩٣٣-١٩٤٥، واستندت الإيديولوجية النازية على فكرة الرسية (سمو العرق الآري الجرماني)، وعدته أساس التطور والرقي(٢). وكان هتلر يرى ان على الحكومة الالمانية استعادة مكانة المانيا وهيبتها، بعد هزيمتها في الحرب العالمية الاولى، وان عليها الحصول على المجال الحيوي لتوفير مصادر غذاء الشعب الالماني واستيعاب الفائض من السكان، وجعل المانيا اكثر حصانة من الناحية العسكرية، وهذا الامر لن يتحقق الا بالتوسع داخل اوروبا نفسها، لذا يجب تهيأة الشعب الالماني لهذه المهمة عبر تربيته تربية عسكرية وقومية محضة. وقد ادرك هتلر منذ البداية مسألة مهمة ومؤثرة جداً في حركة الشعوب، وهي ان الهوية القومية تسمو وتعلو حينما يغدو الدين مرتكزاً لها يعزز مكانتها ويدعم كيانها وقد رصد ما هدد هذا المرتكز، فقد بين ان الفنانين والمفكرين اليهود والبلاشفة (٣) لو انهم اكتفوا بالتجديد والابتكار لهانت المصيبة، ولكنهم انبروا للحط من شأن تراث ألمانيا الفكري وللهزأ بكل ما أجمعت الأمة على تقديسه، اذ سخروا من الفلاسفة والادباء الجيرمان امثال شيلر وغوته وشوبنهور وهيغل وغيرهم. وتعمدوا تشويه منجزات فريدريك الكبير ملك بروسيا(٤)، والاستهانة بعمل رئيس وزراء المانيا المستشار بسمارك(٥). لقد أرادوا بهذا أن يقطعوا –من وجهة نظره- كل صلة بين الماضي والحاضر ، وفي الوقت نفسه ،جعلوا من الأدب الرخيص والفن الاباحي بضاعة سهلة التناول، وما لبثت هذه

البضاعة أن طردت من السوق الأصناف الجيدة وغصت واجهات المكاتب وجدران المتاحف بمنتجات لا اثر فيها للفكر والفن.واضاف انه لم يقتصر التفسخ على هذه الناحية بل تعداها إلى حياة الأمة الروحية. فقد أدرك البلاشفة الشيوعيون وأسيادهم اليهود ((أن امة متدينة عن إدراك أو عن إيمان هي امنع من أن تسلم قيادتها للمغامرين الدوليين فشنوا على الدين ورجاله حملة مركزة تحت ستار الدعوة إلى تقديس حرية المعتقد)). وترجموا إلى الألمانية مؤلفات أجنبية لا يجوز أن تلقى بين أيدي المثقفين فكيف بسواد الشعب وقد كان رجال الكنيستين البروتستانتية والكاثوليكية في شاغل عن هذا العمل ((ألتهديمي)) داخل البلاد بتسابقهم إلى هدي زنوج أفريقيا هذا التسابق –من وجهة نظره- أسفر عن نتائج جد متواضعة بالنسبة إلى النجاح الباهر الذي صادفه الإسلام في تلك البقاع. لقد ترك رجال الكنيستين خرافهم بدون راع يدفع عنها خطر الذئاب فكانت النتيجة تزعزع إيمان آلاف المواطنين وتضاؤل شأن الوازع الديني ،وكان هتلر في تحليلاته هذه يقصد ان رجال الدين انشغلوا بالتبشير في حين ان بلادهم التهمها اليهود.

وكان يرى أن سواد الشعب لا يتألف من الفلاسفة، وان إيمانه هو الرباط الوحيد الذي يشده إلى الكنيسة التي ترعى شؤونه الروحية ((وقد أدرك أعداء الأمة هذه الحقيقة ولغموا إيمان السواد بما نثروه حول الدين من شكوك أما غايتهم فقد كانت القضاء على الوازع الديني والمناعة الخلقية اللذين يقيان المرء مواطن الزلل ويبقيانه بعيدا عن متناول المبادئ الهدامة والتيارات الإباحية))(٦) .

ترسخت عند هتلر مفاهيم عدائية جدا عن الديانة اليهودية (٧) فاليهودي في نظره يعطينا الدليل على بعد ديانته عن الروحانيات. فحياته تقوم على المادة وروحه كانت ولا تزال غريبة عن الروح المسيحية . ولا ريب في أن مؤسس النصرانية لم يظلم اليهود عندما أبدى فيهم رأياً صريحاً . لان اليهودي كان يعد الدين تجارة، ولان المسيح حارب المادية اليهودية صلبه اليهود . ومن المخجل أن يستجدي الحزب المسيحي أصوات اليهود في الانتخابات، وان ينظم الدسائس ويحبك المؤامرات ضد الوطنيين بالاشتراك مع الحزب اليهودي الملحد ،واخذ هتلر يقيس مدى قوة الديانة المسيحية وانتشارها اذا ما اقترنت بالتعصب واشار الى ذلك بقوله: ((يعلمنا التاريخ أن قوة المنظمات الكبرى قامت دائما على التعصب ضد كل ما هو خارج عنها وان أنصار فكرة ما، متى اقتنعوا بصحتها وتجندوا للدفاع عنها يمشون إلى منازلة الخصوم موقنين بالنصر ولا يزيدهم الاضطهاد إلا استبسالاً في الكفاح. فالمسيحية لم تنتشر ويشتد ساعدها بإيجاد تسويات بين

تعاليمها وتعاليم الديانات القديمة . فقد شقت طريقها ونمت نمواً مطرداً بفضل تعصبها لرسالتها ودفاعها عنها دفاع المستميت))(٨).

ومما تقدم يظهر ان هتلر وضع للدين مكانة في نظريته العنصرية، وهو جزء من هوية الامة، وحينما بدأ يُنظِّر لافكاره العنصرية (نظرية العرق والرس) هاجم عمل الكنيسة . فما هي نظريته العرقية ؟ ومفهومه عن الدين في ضوء هذه العقيدة ؟ جعل هتلر مهمة الدولة الجرمانية الرئيسة السهر على وقف كل اختلاط جديد(٩)، وصم الآذان عن سماع الدعوة اليهودية – الماركسية إلى دك الحواجز التي تفصل بين الأجناس ،وعن سماع احتجاجات أنصار الاختلاط على المساس بحقوق الإنسان المقدسة. فليس للإنسان سوى حق واحد مقدس ،هو أقدس الواجبات، وهذا الحق هو السهر على بقاء دمه نقياً طاهراً، ليتسنى له أن يصون الحضارة ومقوماتها ،وعلى الدولة العنصرية أن تنهض بالزواج الذي يبتعد بالجيرماني من الانحدار والتردي بفعل الاختلاط، معيدة إليه قدسيته كمؤسسة تهدف إلى خلق كائنات على صورة الله ومثاله، لا مسوخ هي اقرب إلى القردة منها إلى البشر.

اكد هتلر: ((أما الاعتراضات التي يمكن أن توجه إلى نظريتي باسم الإنسانية فإنها اعجز من أن تقف على قدميها في عصر يتيح من جهة للمنحطين والمتفسخين أن يتكاثروا مسببين للمتحدرين من صلبهم ولسائر الناس عذابات لا تطاق، ويتيح من جهة أخرى للأصحاء الحصول من أهون السبل على عقاقير تتلف الزرع البشري . أن البورجوازيين يقيمون الأرض ويقعدونها لأننا نطالب بمنع زواج المصابين بالزهري والسل وذوي العاهات الوراثية الخ ... ولكنهم لا يحركون ساكنا ضد الوسائل التي يلجأ إليها الأصحاء لمنع الحمل ولإتلاف الزرع البشري. ولا يقل موقف الكنيستين الكاثوليكية واللوثرية(البروتستانتية) غرابة عن موقف البورجوازيين. إنهما تتذمران من موجة الإلحاد الطاغية ، ولكنهما لا تقومان بأي عمل ايجابي لوقف طغيان هذه الموجة، بل نراهما تتنافسان في تبشير الافارقة محاولتين عبثا إفهام الزنوج ما لا قبل لهم بادراك كنهه ، وفي هذا الوقت بالذات يتآكل أوروبا جذام إذا ترك وشأنه أدى بشعوبها إلى الانقراض . حبذا لو تركت الكنيستان الزنوج وشانهم لتلتفتا إلى الخراف الضالة في أوروبا وتفهما السكان أن من كان منهم ضعيف البنية أو مريضا يحسن عمله في عيني الله أن هو تبنى يتيما سليما بدلا من أن يهب الحياة لأولاد مرضى يكونون عالة عليه وعلى المجتمع))(١٠) . لاحظ كيف اوجد هتلر للكنيسة وظيفة عجيبة ابعدها عن دعوتها الانسانية فمفهومه للدين لم يكن مبني على نصوص دينية مسيحية او تعاليم كنسية امتثل لها السواد الأعظم من الناس، انما فهمه تأتى من حاجةٍ رغب هو فيها او ارادها وسعى الى تحقيقها وهي العرقية، اذ طالب الكنيسة ان تكف عن دعوة الأسُر

التي تكثر فيها العاهات الخلقية عن الزواج، وان تدعو هذه الاسر الى البحث عن الاصحاء من الايتام لرعايتهم او دعمهم لانهم الاقدر على تأسيس عرق جرماني صحي سليم يمكن ان يدافع عن الدولة الالمانية التي ستحكم العالم .

فقد راى انه :((يتعين على الدولة العنصرية أن تسد النقص الحاصل في هذا الحقل بفعل الإهمال جاعلة العرق محرر حياة الجماعة ساهرة على بقائه نقيا . وعليها أن تجعل من الولد أثمن ما في حوزة الشعب ، وان تحصر حق التناسل بالرعايا الأصحاء معلنة انه إذا كان ثمة من فعلة نكراء فهي أن يتزوج المرضى وذوي العاهات ويرزقوا أولادا ،وان أنبل الأعمال هو أن يمتنع هؤلاء عن التناسل. وفي الوقت نفسه يتعين على الدولة أن تعاقب بصرامة منع الحمل عندما يكون الأب والأم موفوري الصحة والنشاط ..... أليس إجراما بحق المجتمع أن ينقل المريض داءه إلى ذريته ؟. على الدولة أن تفهم الفرد بوساطة التربية أن كون الإنسان مريضا أو ضعيفا ليس عيبا إنما هو محنة تستثير الشفقة، ولكنه يصبح إجراما يوم يورث المصاب داءه أو عاهته مخلوقا بريئا . أن البشرية قادرة على إنقاذ نفسها باعتمادها هذا النهج خلال بضعة قرون وكذلك الدولة التي نريد إنشاءها على أساس عنصري سليم. فإذا حيل بين المتفسخين والمرضى وبين التناسل وشجع الأصحاء في هذا الحقل يتوفر لألمانيا عرق سليم من الشوائب والعاهات مهمته الأولى إتلاف بذور الانهيار المادي والمعنوي الذي يتهدد شعبنا في هذه الآونة))(١١) . هنا يتحدى هتلر إرادة الله عز وجل تماما عكس تعاليم المسيحية التي تدعو للرحمة والرأفة والمحبة والعطف بوصفها تعاليم ربانية وهذا ما قاده فيما بعد الى الخلاف مع الكنيسة .

اذ ان هتلر كان يؤكد على ضرورة ان تسهر الدولة العنصرية باستمرار على تجديد شباب الطبقات المثقفة بدم هو دم الطبقات الدنيا . وعليها أن تغربل الرعايا بعناية ودقة لاستخراج (العتاد البشري الموهوب)، ووضعه في خدمة الجماعة. فمبرر وجود الدولة ومؤسساتها ليس توفير الدخل لبعض الطبقات، أن مبرر وجودها هو أداؤها المهام المنوطة بها، وهذا لا يكون إلا بتنشئة رجال مؤهلين للاضطلاع بالعبء ،لذا فان الكنيسة الكاثوليكية قدوة ومثلاً يحتذى به، فهي تحرص على أن يكون رجالها أقوياء الشكيمة ، ويضطرها (مبدأ التبتل) العفاف إلى اختيارهم من أبناء الشعب لأنهم اقدر من أبناء الطبقة الخاصة على لجم الغرائز وكبح جماح الشهوات . وبفضل هذا الأسلوب ظلت الكنيسة على تماس بالسواد ، واستمدت من هذا السواد الطاقة على مغالبة التيارات المضادة .من هنا ، فان شباب الكنيسة المتجدد أبدى مرونته المدهشة وإرادته الفولاذية(١٢). يبين هتلر دور الكنيسة في صيانة اخلاق الناس من اجل الحفاظ على نقاوة النسل دون الانجراف نحو الرذائل التي تشوه العرق .

- **إجراءات هتلر ضد الكنيسة:**

كانت الآراء والأفكار التي ذكرناها لهتلر عن الدين والكنيسة هي ما تبناه قبل وصوله الى الحكم . فقد تصاعدت حدة رعب التعصب القومي في ألمانيا منذ السنوات الأولى التي تلت الحرب العالمية الأولى ،عبرت عنه الحركة القومية الاشتراكية (النازية) بزعامة أدولف هتلر. وقد سبقت غيرها في هذا المجال. أدرك هتلر جيداً كيفية توحيد الأفكار المنسجمة مع الحالة الروحية لألمانيا ما بعد الحرب ، اذ عاشت المانيا مرارة الهزيمة واليأس الذي سببته الكارثة الاقتصادية وتزايد البطالة(١٣)، وتعمقت نزعة العداء للسامية.اذ لعب اليهود دوراً مهما في المجتمع الألماني كانوا قد وقفوا على وجه العموم إلى جانب ألمانيا في سنوات الحرب الأولى ، لكنهم ساندوا الحلفاء فيما بعد لأسباب عديدة، واستطاع هتلر من خلال سياسة الوعود التي كان بارعا فيها ،ومن خلال الدعوة لقانون الحق في الانتقام ،استقطاب غالبية الشعب الألماني ودفعه للالتفات حوله .أصبح هتلر مستشار المانيا (رئيس وزراء)عام ١٩٣٣. وجرت الانتخابات الألمانية في ٥ آذار ١٩٣٣ (١٤)، وحصل فيها النازيون على (٢٨٨) مقعدا من مجموع مقاعد الرايخشتاغ (البرلمان الالماني) البالغة (٦٤٧) مقعدا أي حوالي ما نسبته (٤٤%) من مجموع المقاعد، وحصل حزب الوطنيين الألمان على ٥٢ مقعدا بنسبة ٨% من مجموع المقاعد، فتحالف النازيون اثر ذلك مع حزب الوطنيين الألمان بهدف تكوين الأغلبية في الرايخشتاغ . وحصل حزب الوسط على ٧٤ مقعدا والاشتراكيون ١٢٠ مقعدا والشيوعيون ٨١ مقعدا والأحزاب الأخرى ٢٣ مقعدا .

اقر الرايخشتاغ الألماني في ٢٣ آذار ١٩٣٣ قانون التمكين (The Enabling Act 15) ، وبموجبة حصلت الحكومة من الرايخشتاغ على حق إصدار القوانين دون العودة إلى الرايخشتاغ، أي انه منح الحكومة حق استعمال سلطات دكتاتورية . وقد اتبع النازيون أساليب التهديد ضد بعض أعضاء الرايخشتاغ ، وحصل بذلك على موافقتهم بإصدار القانون المذكور ، واستغل هتلر الصلاحيات التي حصل عليها في فرض دكتاتوريته على ألمانيا والقضاء على معارضيه. وفي ١٤ تموز ١٩٣٣ قامت الحكومة بحل جميع الأحزاب في ألمانيا باستثناء الحزب النازي الذي أصبح الحزب الوحيد في ألمانيا وأصبح القوة المحركة في الدولة لان أعضاء الحزب النازي أصبحوا يشغلون أهم الوظائف الإدارية العليا في البلاد (١٦).

أما الشؤون الدينية فقد عالجها منهاج الحزب النازي حسب المادة الرابعة والعشرين من برنامج الحزب الذي منح الحرية الدينية لجميع الطوائف الدينية في الدولة، وعلى الرغم من ذلك لاحظ الأساقفة الألمان الأخطاء الدينية للهتلرية، ومنعوا الكاثوليك من الانتساب إلى الحزب النازي ،وكان هتلر قد أعلن في آذار عام ١٩٣٣، انه سيحترم الاتفاقيات القائمة بين الكنائس والحكومة فتراجع الأساقفة عن موقفهم، وسمحوا للكاثوليك بالتعاون مع الحكومة الجديدة ، وأضحت (منظمة العمل الكاثوليكي) بزعامة نائب المستشار الكاثوليكي في المانيا فرانز فون بابن (١٧) الوسيلة الأساسية للتعاون مع الهتلرية .

وفي أطار الجهود التي بذلتها حكومة المانيا من اجل تحقيق نجاح للسياسة الخارجية قامت بإجراء محادثات مع الإدارة البابوية في الفاتيكان بهدف تنظيم العلاقات القانونية للكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا .بدأت في عهد فون بابن مستشار المانيا عام ١٩٣٢، جرت مع الكاردينال باكيللي وزير خارجية الفاتكان انطلاقا من المشروع القديم العائد لعام ١٩٢١. وقد اعتمد على آراء المونسنيور كاسا رئيس كتلة الوسط في الرايخستاغ سابقاً ،وعلى كونراد غروبير متروبوليت فريبورغ . وفيما بعد حاول النازيون التقرب من العاصمة الرسولية فقد تقدموا بعرض لتوقيع اتفاقية بابوية تشمل كامل ألمانيا ،وافق البابا بيوس الحادي عشر(١٨) على المفاوضات التي أسفرت عن اتفاقية عام ١٩٣٣.

وكان هتلر قد اثنى على العقائد المسيحية في خطابه الذي ألقاه في الرايخشتاغ بتاريخ ٢٣ آذار ١٩٣٣ في الجلسة التي تخلت فيها هيأة ألمانيا التشريعية عن صلاحيتها إلى هتلر. وأوضح في الخطاب المذكور أن العناصر المسيحية هي بمثابة عناصر جوهرية في الحفاظ على روحية الشعب الألماني، ووعد باحترام الشؤون الدينية وبين أن ما تطمح إليه الحكومة الألمانية هو السعي لعقد اتفاق سلمي بين الكنيسة والدولة، ثم أوضح ان الحكومة تسعى إلى تعزيز علاقاتها الودية مع البابوية ، ولعله كان يهدف من وراء ذلك الحصول على تأييد أعضاء حزب الوسط الكاثوليكي وناله بالفعل في الجلسة المذكورة . كان من اهداف هتلر إخضاع الكنيسة لسيطرة الدولة، لأنه كان يعتقد ان رجال الدين بإمكانهم أن يصبحوا معارضين لسياسته ، لذا عقد في ٢٠ تموز ١٩٣٣ اتفاقية مع الدولة البابوية التي مثلها البابا بيوس الحادي عشر وبين الحكومة الألمانية التي مثلها وفد برئاسة نائب المستشار فرانز فون بابن عرفت باسم اتفاقية الرايخ)١٩) Reih Concordat ، تعهد فيها هتلر للبابا بعدم التدخل في شؤون الكنيسة الكاثوليكية ، وان

تتولى بنفسها تنظيم شؤونها . مقابل ذلك تعهد البابا لهتلر بحل حزب الوسط الكاثوليكي ، وعدم التدخل في الشؤون السياسية . إلا أن ذلك الاتفاق لم يؤد إلى تحسن الأوضاع بين الطرفين لمدة طويلة بسبب تدخل الحكومة في الشؤون الكنيسة . فقد سنت الحكومة الألمانية في ٢٥ تموز ١٩٣٣ قانونا أطلقت عليه اسم (قانون التطهير). وقد أثار سخط رجال الدين الكاثوليك بشكل كبير ، وتخلصت بموجبه الحكومة من الذين عارضوا سياستها، واتهمتهم بمختلف التهم الأخلاقية المشينة ، واعتقلت الآلاف منهم ، وعملت أيضاً على مصادرة أموال ما يقارب عشر جمعيات كاثوليكية، وأقامت دعوات على أعضاء الاكليروس(رجال الدين) بتهمة الخروج عن القيم الأخلاقية بهدف الإساءة إلى سمعة الكنيسة . فضلا عن ذلك قامت بحل اتحاد الشباب الكاثوليك . وفي آذار ١٩٣٧ اصدر البابا بيوس الحادي عشر منشوراً بابويا اتهم فيه الحكومة النازية ((بالانحراف)) ونكث الوعود والاتفاقيات وبالترويج للشكوك والكراهية والعداء سرا وعلانية للسيد المسيح وكنيسته، ورأى البابا أن السياسة التي تتبعها الحكومة تؤدي إلى تفرقة الشعب الألماني وقد تؤدي إلى نشوب حروب دينية هدامة (٢٠).

أما البروتستانت فقد طرح عليهم هتلر مشروع توحيد جميع الكنائس البروتستانتية في ألمانيا بكنيسة واحدة يطلق عليها اسم (كنيسة الرايخ). وقد ساند هذا المشروع بعض رجال الدين من البروتستانت، وأطلقوا على أنفسهم اسم(المسيحيون الألمان). وكان هؤلاء يؤيدون الأفكار النازية المتعلقة بالأعراق والزعامة. وبحلول عام ١٩٣٣ بلغ عدد أنصار المسيحية الألمانية حوالي (٣٠٠٠) قس من مجموع (١٧٠٠٠) ، بينما كان أتباعها من العلمانيين اكبر من ذلك بكثير. وقد واجهت حركة المسيحيين الألمان معارضة من جماعة مسيحية تطلق على نفسها اسم (الكنيسة الاعترافية) تزعمها القس مارتن نيمولر (١٨٩٢-١٩٨٤) الذي كان سابقا مؤيدا للنازية ، إلا انه انقلب ضدها . وكان عمل هذا القس سابقاً قائداً لإحدى الغواصات الألمانية و معروفا عنه ،أنه أقوى زعماء الكنيسة البروتستانتية وقد اعتقل هذا الرجل وأودع السجن بتهمة ،سوء استغلال منبر الكنيسة وتحريض الناس على إغفال قوانين الحكومة الألمانية. كان عدد القسس من أتباع الكنيسة الاعترافية ٣٠٠٠ قس ، عارضوا بشدة تحول الكنائس البروتستانتية إلى النازية ، وعدوا ذلك تدخلا خطيرا في شؤون الكنيسة والدين ،لذا أمر هتلر باعتقال العديد من هؤلاء ومحاكمتهم، والقي القبض على مارتن نيمولر عام ١٩٣٨ وحكم بالسجن لمدة سبعة اشهر. فضلا عن العقوبة المالية التي فرضت علية .كان النازيون قد استغلوا الاتفاقية لإعاقة عمل العاصمة

الرسولية ومنعها من مقاومة العنف. وبدأت عملية إبادة بطيئة للكاثوليكية في ألمانيا باستعمال التقنية النازية دون أن تكون ملحوظة من الخارج. ونفذ صبر البابا واصدر في آذار عام ١٩٣٧ منشوراً بابوياً عارض فيه بقوة ووضوح أسلوب المراوغة والوحشية الذي مارسته النازية، وأوضح أن مجمل الفكر النازي عن الحياة معاد للمسيحية. في الحادي والعشرين من آذار اطلع الأساقفة والقسس الكاثوليك على المنشور البابوي في جميع الكنائس الألمانية، دعا فيه البابا الكاثوليك للثبات في الإيمان واحتج على المحاولات الهتلرية الرامية لتدمير الكنيسة، ورفع شعار حرية المعتقدات في ألمانيا. و لم تتطرق الصحافة الألمانية بكلمة واحدة إلى هذا المنشور البابوي ، لكن نصه قد نشر في بريطانيا ودول أخرى والى هذا الامر يعود الفضل في سماع الكثيرين من الألمان بالمنشور، وأن آلاف النسخ قد تم توزيعها في ألمانيا سراً (٢١).

أوضح البابا في المنشور الأسباب التي دفعته لتوقيع الاتفاقية البابوية مع المانيا عام ١٩٣٣، وهي الحرص على حرية رسالة الخلاص الكنسية في ألمانيا ، ولكن هتلر زرع ما دعاه البابا ((أشواك الشك والخلاف والكراهية والدجل والعداء))، وقام بتحوير الاتفاقية والالتفاف عليها، وتفريغها من مضمونها وخرقها في نهاية المطاف . ردد البابا مرارا وتكرارا في كلامه لرعاياه رفضه للإشكال التي جاءت بها النازية فقد كان البابا واضحاً حينما رفض المصطلحات السياسية التي أثرت في الدين،وأكد ملمحاً الى ذلك انه ليس هناك (آله قومي ولا دين قومي)، وكان يقول ((إذا حاول البعض ممن ليسوا على وفاق مع الإيمان بالمسيح إغواءكم بسراب الكنيسة القومية الألمانية فاعلموا أن هذا ليس سوى إنكار لكنيسة المسيح الوحيدة))(٢٢).

اتصفت سياسة هتلر الداخلية بتركيز السلطة في شخصه والاعتماد على نظام الحزب الواحد بالمعنى الدقيق لهذه العبارة، فالدولة هي المتحكمة في اقتصاد البلاد وماليتها وقد اتخذ من إجراءات عنيفة لا تلين ولا ترحم ما أدى إلى تحسين وضع الصناعة إلى حد كبير وجندت الحكومة العمال للعمل والصخرة ، وقامت بتنفيذ برنامج ضخم للتسلح . وعلى الرغم من ذلك كانت الوعود بالانتعاش الاقتصادي أكثر تحديدا وابعد مدى من تلك التي كان وعد بها موسوليني (٢٣) في ايطاليا، ولو أن البلاد تعرضت لازمة اقتصادية في ذلك الوقت لكان لها رد فعل عنيف على النظام القائم في ألمانيا. وفي المجال السياسي سرعان ما تلاشت كل معارضة منظمة.

انعكست هذه السياسة الدكتاتورية على الدين فقد كان له شأن آخر ، وهنا وجه التباين الحاد بين هتلر وموسوليني ذلك أن اليهود كانوا أول هدف للاضطهاد ، واثبتوا عجزا تاما عن المقاومة داخل ألمانيا وسرعان ما طُردوا خارج البلاد أو حُرموا من حقوقهم أو كممت أفواههم ووضع القيد فوق رقابهم غير أن محاولة هتلر بسط سلطانه على الكنائس قوبلت بمعارضة عنيدة من جانب الدوائر البروتستانتية والكاثوليكية جميعا ولهذا لم تنجح سياسة هتلر الدينية إلا جزئيا.

وكان رجال الكنيسة البروتستانتية اصلب الناس معارضة لسياسة هتلر، لان أساقفة الكنيسة الكاثوليكية لم يرفضوا في أول الأمر تأييد هتلر في كفاحه ضد البلشفية الحركة الشيوعية ومع ذلك فان الكنيستين وقفتا في حزم وصلابة ضد المحاولات التي قامت بها النازية لإجبارهما على قبول النظريات العنصرية الجديدة كما حددتها (قوانين نور مبرغ)، لان تلك المراسيم قضت بحرمان اليهود من حقوق المواطنة كافة وحرمت الزواج بينهم وبين الآريين وأقصتهم بالفعل عن الحياة السياسية والثقافية الألمانية كما استبعدتهم عن دوائر العمل الرسمية وقد بلغ الصراع بين الكنيسة البروتستانتية وبين الدولة ذروته في عام ١٩٣٨ حينما مُنعت الكنيسة من حق التصرف في أموالها وحُرم كل عمل تقوم به المعارضة البروتستانتية ،وأصبحت المشاركة في شؤون الكنيسة أمراً غير مشروع وعلى الرغم من احتجاجات الهيئات الدينية خارج ألمانيا فقد استمر اضطهاد الكاثوليك والبروتستانت ولكن هتلر لم ينجح في القضاء على هذه الطائفة أو تلك بل إن إحدى النتائج الرئيسة لهذا الاضطهاد انه زاد من السلطة الأدبية والروحية التي كانت للكنيستين (٢٤).

ان الحكم الدكتاتوري في ايطاليا والمانيا اتسم بخصائص ميزته عن أي نظام سبقه فايطاليا وألمانيا في ذلك العصر كانتا تتميزان بحكومة الحزب الواحد ولا يقتصر الأمر فيهما على أن مصلحة الدولة هي المصلحة العليا الغالبة ،بل تعدى ذلك الى أن مصلحة الدولة تفوق أية مصالح أخرى يمكن بأية طريقة أن تكون منافسة لها ،كذلك أصبح الدين وممارساته كافة خاضعا للدولة، كما أن الهدف من القضاء لم يعد مؤازرة الحق كمثل أعلى، بل أصبح عمله خدمة مصلحة الدولة أما الالتزامات الأخلاقية فقد غدت خاضعة لا لضرورات الدولة فحسب بل لمصلحتها أيضا. أن الطابع الذي اتسم به الحكم أصبح طابعا شخصيا تماما ومع أن أحدا لم يحاول أن يجعل الحكم وراثياً كما هو الحال في القرن التاسع عشر، إلا أن السلطة كلها ركزت في يد فرد واحد

نصب نفسه ممثلا للشعب والدولة بل ذهب إلى أكثر من ذلك حين قرر أن الشعب والدولة تتجسدان في شخصه فلا معارضة ولا نقد وهكذا انهار كل شكل من أشكال الحكم البرلماني، وضرب به عرض الحائط وعندما كانت تجرى الانتخابات لم يكن يسمح فيها بترشيح أي معارض لسياسة الحكومة. والى جانب ذلك بذلت كل الجهود للتحكم في الرأي العام أو لتوعيته خدمة لهذا النوع الجديد من الحكم وقد نحت حكومات سابقة مثل هذا المنحي بالتحكم في الكنيسة والرقابة على الصحافة غير أن الدكتاتوريات الحديثة ألهبت خيال الناس وأثرت في آرائهم بكل وسيلة من وسائل المدنية العصرية اذ استغلت التعليم بشتى فروعه و الصحافة والمسرح والإذاعة لتحقيق هذا الهدف (٢٥).

وبالنسبة الى موقف البابوية من التوسع النازي في اوربا فقد كان واضحاً.ففي عام ١٩٣٨ قام هتلر بضم النمسا بالقوة إلى ألمانيا ووقفت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى مكتوفة الأيدي امام هذا الحدث الخطير.بل وافقت كل من فرنسا وبريطانيا في ميونخ على سلخ جبال السوديت من تشيكوسلوفاكيا.

دُهش البابا من موقف الدولتين فيما يتعلق بتقدير مصير تشيكوسلوفاكيا دون اخذ رأيه بعين الاعتبار ومن جانب اخر عد موقف ألمانيا وايطاليا خدعة كبرى وكان قلقا على المستقبل ففي ايلول من العام نفسه استقبل البابا ثلاثة ايطاليين هم كل من المونسينيور كونستانتيني والسيناتور تشيني ومهندساً معمارياً كان يعرض عليه أنموذجاً مصغراً لكنيسة جديدة .اعتقد الزوار أن الواجب يقتضي تهنئة البابا بمناسبة الحفاظ على السلام لكن البابا ردعنيفا ((يا له من سلام السلام على حساب الضعيف دون التفاهم معه هذا سلام غير عادل يمكنكم أن تقولوا هذا باسمي لرئيس الحكومة الايطالية))(٢٦).

احتل الالمان تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٣٨ وتصاعدت أيضا حملة اضطهاد اليهود مورست عليهم الضغوط في بادئ الأمر بإصدار قوانين جائرة ثم عُوملوا بطريقة لا قانونية تماما تمكن قسم منهم من الفرار لكن الغالبية كانت مرغمةٌ على البقاء في ألمانيا وعلى تحمل الاضطهاد والاستفزاز . بات واضحاً ان بولندا ستكون النقطة التالية التي ستتلقى الضربة الألمانية ،تعلق الأمر ظاهريا بمدينة غدانسك وما كان معروفاً باسم الممر.إلى جانب اضطهاد اليهود (اليهود الذين اعتنقوا المسيحية أيضا) تمت تصفية المرضى العقليين والمرضى غير القابلين للعلاج من الالمان المسيحين. احتج رجال الدين ونتيجة ذلك أُعتقل القسس والرهبان والكاثوليك العلمانيين أيضا وإرسلوهم إلى معسكرات الاعتقال ، اذ أُرسل اثناء فترة الحرب٢٦١ قساً ألمانياً إلى معسكر داخاو.

حارب الأساقفة الألمان العقيدة الهتلرية وألقى الكاردينال فولهابر سلسلة من المواعظ بهذا الخصوص وأدان غالين أسقف مدينة مونسيتر علنا قتل الأفراد غير النافعين أي غير الطبيعيين من المعوقين ولادياً. قدمت العاصمة الرسولية في المدة الواقعة ما بين عامي ١٩٣٣- ١٩٣٦ أربعاً وثلاثين مذكرة للحكومة الألمانية احتجاجا على اضطهاد الكاثوليك والكاثوليكية .وبعد الاستيلاء على النمسا والسوديت وتشيكوسلوفاكيا انتقلت الممارسات الهتلرية المتعلقة بمحاربة الدين إلى مناطق الدول المحتلة .وكان موقف بعض الاساقفة النمساوين متخاذلاً ،حيث تواطؤوا بزعامة الكاردينال ثيودور اينيتزير مع السادة الجدد الذين حظوا بتعاون الكنيسة هناك. ألغى الألمان الاتفاقية البابوية الموقعة مع النمسا عام ١٩٣٤ وساهمت الدعاية الهتلرية النازية العنصرية في خروج ربع مليون كاثوليكي رسمياً من أحضان الكنيسة . اثناء عام ١٩٣٨ قام الالمان بفرض حظر على نشاط جميع المنظمات الكاثوليكية والمطبوعات الكاثوليكية وأُغلقت كليات اللاهوت في اينسبروك وسالزبورغ وإبعاد ستة آلاف راهب من البلاد. في السوديت أُلغيت الاتفاقية التي وقعتها تشيكوسلوفاكيا مع العاصمة الرسولية عام ١٩٣٨ وأُعتقل الكاردينال كاسبار رئيس أساقفة العاصمة براغ وأُرسل مع عدد من القسس إلى معسكرات الاعتقال قبل أن تندلع الحرب العالمية الثانية (٢٧).

الخاتمة:

توصل الباحث الى جملة امور منها:

١- يبدو ان هتلر حينما كتب مذكراته (كفاحي) قد بين منهجه فيما لو تمكن من الوصول الى السلطة . وقد كان صائبا حينما أعطى للدين دورا كبيرا في الحفاظ على الهوية ، لكنه ذهب بعيدا حينما اراد زج الدين بمفهومه العرقي العنصري وجعله دافعا ووسيلة لتحقيق تطرفه .

٢- دخل هتلر في صراع مع الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية حينما واجهتا تطرفه لاسيما بعد صدور قوانين نورنبيرغ وكان يرغب باخضاع الكنيسة الكاثوليكية لحكومته .

٣- حاول هتلر ان يصوغ ديناً قومياً خاصاً به حينما اراد ان يفرض نفوذه وتسلطه على المسيحيين الذين وجدوا انفسهم بين امرين اما الانتماء الى كنيسة قومية نازية بعيدة عن الدين والانسانية او الانصياع الى تعليمات وارشادات البابا ومقاومة تطرف هتلر وعنصريته. وقد ادى هذا الامر الى حدوث صراع بين النازيين من جهة والكنيسة الكاثوليكية المتمثلة بالبابا من جهة اخرى.

٤- على الرغم من ان معظم الالمان كانوا على المذهب البروتستانتي الذي كان ينتمي له هتلر الا ان اغلبيتهم قاوموا افكاره المتطرفة والعنيفة تجاه الانسانية ، لاسيما اضطهاده لرجال الدين المسيح والطائفة اليهودية وقيامه بعمليات التطهير تجاه المرضى والمعوقين.

٥-ان هذا الانموذج المتطرف الذي اراد ان يجعل من القومية أعلى من الدين قد بعث برسالة انذاك الى اوربا خاصة والعالم عامة مفادها: ان أفكاراً قد يضعها البشر ويتطرف بها تحدث تشوهاً في مفاهيم الدين ،لاسيما انها تجعل العرق والرس أولاً ، ثم تحاول ان توظف كل معتقدات الانسان لخدمة مبتغياتها وهنا قد تجد انحراف البعض وتاثره بها.

٦-ان هذا البحث يؤكد على ان التطرف لايقتصر على العقائد الدينية المنحرفة ولا على المذهبية البغيضة وانما ممكن ان نجده بطروحات اخرى مثل القومية التي هي من نتاج فكر علماني انتشر منذ اوائل القرن العشرين ،وراح يعصف بشدة حتى وصل الى بلادنا الاسلامية ثم اخذ منحى خطير حينما تأثر به القادة العرب لاسيما في بلدنا العراق حينما استلم البعث السلطة عام ١٩٦٨ وطبق المنهج النازي والفاشي نفسه لاسيما مفردة ((البعث)) اي بعث القومية العربية وتاريخ هذه الامة ليكون بديلا عن الرسالة الاسلامية العظيمة، فانك تجد في شعاره ما يوضح ذلك ((امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة)).وبهذا تظهر العرقية واضحة .

هوامش البحث ومصادره:

١-ادولف هتلر:سياسي نازي ، ولد في النمسا عام ١٨٨٩ ، اسس الحزب النازي الالماني ، الذي حكم المانيا للحقبة ١٩٣٣-١٩٤٥ . اصبح هتلر مستشارا لألمانيا عام ١٩٣٣ ، ثم اصبح زعيما لها ، وتلقب بلقب الفوهرر منذ عام ١٩٣٤ . ولخص هتلر اهداف سياسته الخارجية في كتابه كفاحي ، وهي اعادة مكانة وهيبة المانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الاولى ، وان تعاد لها حدودها السابقة التي فقدتها بموجب معاهدة فرساي عام ١٩١٩ ، وان يجمع الالمان تحت سقف رايخ واحد ، ثم البحث لالمانيا عن المجال الحيوي ، اي التوسع على حساب دول اوربا الشرقية . لكن غزوه لبولندا عام ١٩٣٩ ادى الى اندلاع حرب عالمية ، انتهت بهزيمة المانيا وحلفائها عام ١٩٤٥ . انتحر هتلر عام ١٩٤٥ . للمزيد

Stephen J. Lee، Hitler and Nazi Germany،New York، 2005..

٢- للمزيد حول افكار هتلر عن العرق الالماني وسموه ينظر:

Adolf Hitler، Mein Kampf ، Jaico Publishing House ، 2007 ،pp.124-144،

٣-البلشفية:كلمة روسية تعني الاكثرية ، وقد اطلقت على جماعة الجناح اليساري من انصار لينين (الجناح اليساري) المنتمين الى حزب العمل الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، وكانوا يشكلون الاكثرية في الحزب ،بينما اطلق على الاقلية في هذا الحزب اسم المونشفيك وتعني الاقلية . وكانت الاكثرية تسعى للحل الثوري بينما كانت الاقلية تسعى للتغيير السلمي في روسيا ، وشكل البلاشفة ما عرف بالجيش الاحمر الذي قاتل الجيش

الابيض المدعوم من الدول الغربية ، حتى انتصار الجيش الاحمر ، وظل مصطلح البلشفية يطلق على هذه الجماعة حتى بعد انتصار الثورة الشيوعية عام ١٩١٧. للمزيد

http://www.historytoday.com/richard-cavendish/bolshevik-menshevik-split

٤-فردريك الكبير: ملك بروسيا ، ولد في عام ١٧١٢ ، اهتم في مقتبل حياته بالفن والموسيقى ، وكان من دعاة الحكم المطلق المستنير ، قام بتحديث البيروقراطية البروسية ، وعزز التسامح الديني في مملكته ، اشتهر بدهائه الكبير في الحملات العسكرية ، وقد عده النازيون قائدا عظيما . حكم بروسيا في عام ١٧٤٠ وتوفي عام ١٧٨٦ . للمزيد ينظر:

.N.D،New York، Fredrick the Great King of Prussia ،David Fraser

٥- اوتو فون بسمارك:رجل دولة وسياسي بروسي (الماني) ، ولد في عام ١٨١٥ ، تولى منصب مستشار بروسيا للمدة ١٨٦٢-١٨٩٠ ، اشتهر بدهائه السياسي ، وأدت سياسته الخارجية الى توحيد المانيا في عام ١٨٧١ ، بعد هزيمته لفرنسا ، واقام حلف عسكري مع النمسا ، وما يعرف بعصبة الاباطرة الثلاث التي ضمت روسيا والمانيا والنمسا ، واقام تحالفا ضم النمسا والمانيا وايطاليا ، الا ان سياسته ادت في النهاية الى ابتعاد روسيا عن المانيا واتجاهها صوب فرنسا وبريطانيا . لقب بالمستشار الحديدي ، واتخذه القوميون الالمان بطلهم القومي . عزله امبراطور المانيا وليم الثاني من منصبه في عام ١٨٩٠ للمزيد :

Szilvia Odenwald-Vorga، Volk Bei Otto Von Bismarck، Berlin،2009

٦- ادولف هتلر ،كفاحي ،ترجمة لويس الحاج ،بيروت ،١٩٦٠، ص ١٤٨ – ١٤٩

٧- حول رؤية هتلر لليهود ينظر:

فيليب بوران، هتلر واليهود ، ترجمة سمير حداد ، مكتبة علاء الدين ، ٢٠٠٩ .

٨- كفاحي ،المصدر السابق ،ص ١٧٥وص ١٩٩.

٩ - بيير رونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ترجمة وتحقيق نور الدين حاطوم ، ١٩٧٨ ،ص ٣٨٨.

١٠- كفاحي ،المصدر السابق ،ص ٢٢٢-٢٢٣.

١١- المصدر نفسه ، ص ٢٣٨.

١٢- المصدر نفسه ، ص ٢٣٨-٢٣٩.

١٣- حول أوضاع ألمانيا السياسية والاقتصادية في عهد جمهورية فايمار ينظر:

2002،New York، The Weimar Republic 1919-1933،Ruth Henig

١٤-حول الظروف الممهدة لصعود النازيين للحكم في المانيا ينظر:

Geoff Layton،Democracy and Dictatorship in germany،1919-1963، UK، 2009،pp.101-123.

١٥-حول قانون التمكين ينظر:

https://www.ushmm.org/wlc/en/article.php

١٦-شيرر ،وليم ،تاريخ المانيا الهتلرية ، ترجمة خيري حماد ، ج١، ط٢ ، بيروت ١٩٦٦، ص ٣٥٣- ٣٥٨ ، ؛لانجر ،وليام، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة، ، ج٧ ،ط ١،القاهرة،١٩٦٩ ص ٢٦٣ .

١٧- فرانز فون بابن:سياسي الماني ، ولد في عام ١٨٧٩ ، وتولى منصب المستشار لالمانيا في عام ١٩٣٢ ، وشكل مع هتلر ائتلافا حكوميا ، اسهم في نهاية المطاف في وصول هتلر الى السلطة عام ١٩٣٣ ، وقضت محكمة نورنبيرغ بتبرئته بعد الحرب العالمية الثانية ، توفي في عام ١٩٦٩ . للمزيد:

https://www.britannica.com/biography/Franz-von-Papen

١٨ - البابا بيوس الحادي عشر: ولد في ميلانو ١٨٥٧ ، وسيم كاهنا عام ١٨٧٩ ، ودامت حبريته لمدة طويلة امتدت على طول الاعوام ١٩٢٢-١٩٣٩ ، اتخذ شعار ((سلام المسيح في مملكة المسيح))، ووقع مع الزعيم الايطالي موسوليني اتفاقية لاتران الشهيرة ، وادان النازية بشدة لاحقا ورفض استقبال هتلر عندما زار روما عام ١٩٣٨ ، توفي في عام ١٩٣٩ :

https://ar.wikipedia.org/wiki

١٩ -حول هذه الاتفاقية ينظر:

http://www.americamagazine.org/faith/2003/09/01/vatican-concordat-hitlers-reich-concordat-1933-was-ambiguous-its-day-and-remains

٢٠ – دوبراتشينسكي ، يان ،اوربا المسيحية،ترجمة د. كبرو لحدو،ج ٥، ط١، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٣٩-٢٤٢.

٢١- شيرر ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٢٩.

٢٢- دوبراتشينسكي ، يان، المصدر السابق ،ص ٢٤٤- ٢٤٦

٢٣-بنيتو اندريا موسوليني: سياسي ايطالي ولد في عام ١٨٨٣ ، وهو مؤسس الحركة الفاشية في ايطاليا ، كان معارضا لدخول ايطاليا في الحرب العالمية الاولى ، اصبح رئيسا لوزراء ايطاليا وزعيما لها في عام ١٩٢٢ ، انظم الى دول المحور في الحرب العالمية الثانية ، وبعد هزيمة ايطاليا حاول الهروب مع مجموعة من انصاره ، ولكن حركة المقاومة الايطالية ألقت القبض عليه واعدمته في عام ١٩٤٥. للمزيد ينظر:

https://www.britannica.com/biography/Benito-Mussolini

٢٤- تمبرلي ،هارولد ، جرانت ،أ.ج ،اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩-١٩٥٠ ،ترجمة محمد علي ابو دره ولويس اسكندر ،ج٢ ،القاهرة،١٩٧٨، ص ٣٤٧– ٣٤٩ .

٢٥- المصدر نفسه،ص ٣١٦-٣١٧.

٢٦- دوبراتشينسكي ، يان ،ص ٢٤٥.

٢٧- المصدر نفسه ،ص ٢٤٦-٢٤٧.

Summary:

This research deals with the the Nazi National extremist thought towards the religion، and tries to understanding of the dangerous ideas were resulted by the national schools in the twenty century، and how reflected its theories on the spirited aspects and how hegemony on the life of people.